وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن [illegible] ما يجلسك ههنا قلت
خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال إن لأبيك عندي يدا وإني أريد أن أجزيك
بها وإني والله ما رأيت شيئا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة
ولا أشغل للقلب من خصومة قال فقمت لأرجع فقال خصمي ما لك [illegible]
قال عرفت أنه حقي قلت لا ولكني أكرم نفسي عن هذا قال فإني لا أطلب [illegible]
هو لك فإن قلت إذا كان للإنسان حق فلا بد له من الخصومة فكيف
خصومته فاعلم أن هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم
بغير علم مثل وكيل القاضي فإنه قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب يتوكل في الخصومة
من أي جانب يكون يخاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على
قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الإيذاء ويتناول الذي
يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة وإظهار الحق ويتناول
الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحقر ذلك القدر
من المال وفي الناس من يصرح به ويقول إنما قصدي عناده وكسر عرضه وأني إن
أخذت هذا المال رميته في بئر ولا أبالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو
مذموم جدا أما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة
لجاج على الحاجة ومن غير قصد عناد وإيذاء ففعله ليس بحرام لكن الأولى تركه ما وجد
إليه سبيلا فإن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة
توغر الصدور وتهيج الغضب وإذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي
الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة الآخر ويحزن بمسرته ويطلق

[illegible] فقد تعرض لهذه المحظورات وأقل ما فيه
تشويش خاطره [illegible] يشتغل في صلاته بمحاجة خصمه فلا يبقى الأمر على حد الواجب
فالخصومة مبدأ كل شر وكذلك الجدال والمراء فينبغي أن لا يفتح بابه إلا لضرورة وعند الضرورة
ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب
في خصومته سلم من الإثم ولا يذم خصومته إلا أنه كان مستغنيا عن الخصومة فيما
أتاه ما يكفيه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما نعم أقل ما يفوته في الخصومة والمراء
والجدال طيب الكلام وما ورد عليه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار
الموافقة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل
أو تكذيب فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب
الكلام وقد قال عليه السلام يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام وقد قال تعالى
وقولوا للناس حسنا وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة لغرفا يرى ظاهرها
من باطنها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وأطاب وروي أن عيسى عليه السلام مر به
خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله تقول هذا لخنزير فقال أكره أن أعود لساني
الشر وقال نبينا عليه السلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن
لم يكن فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طلق وكلام لين وقال بعض
الحكماء الكلام اللين لا يسخط ربك إلا أنه يرضي به خلقه فلا تكن به بخيلا فلعله يعوضك منه
ثواب المحسنين وقال بعض الحكماء الكلام اللين وتضاده الخصومة والمراء واللجاج والجدال
فإنه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر
للصدر الآفة السادسة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)